لقوله وآية لهم الليل والشمس والقمر قرأ الآخرون بالنصب لقوله قدرناه أي قدرنا القمر منازل وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس فإذا صار القمر كمنازله كذلك قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم والعرجون عود العذق الذي عليه الشماريخ فإذا قدم وعتق يبس وتقوس واصفر فتشبه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله ولا الليل سابق النهار أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة وقيل لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر أي لا تجتمع معه في فلك واحد ولا الليل سابق النهار أي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل وكل في فلك يسبحون يجرون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب ذرياتهم جمع وقرأ الآخرون ذريتهم بالتوحيد فمن كسر التاء على الجمع نصبها والمراد بالذرية الآباء والأجداد واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد في الفلك المشحون أي المملوء أراد سفينة نوح عليه السلام وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح وكانوا في أصلابهم وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قيل أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها وقيل أراد به السفن الصغار التي تجري في الأنهار فهي في الأنهار كالفلك الكبار في البحار وهذا قول قتادة والضحاك وغيرهما وروي عن ابن عباس أنه قال وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعني الإبل فالإبل في البر كالسفن في البحر وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم أي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابي إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين إلى انقضاء آجالهم يعني إلا أن يرحمهم الله ويمتعهم إلى آجالهم وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم قال ابن عباس ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين أيديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم عذاب الآخرة وهو قول قتادة ومقاتل لعلكم ترحمون والجواب محذوف تقديره إذا قيل هذا أعرضوا دليله ما بعده وما تأتيهم من آية من آيات ربهم أي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم إلا كانوا عنها معرضين وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أعطاكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم أنرزق من لو يشاء الله أطعمه وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم قالوا أنطعم

أنرزق من لو يشاء الله أطعمه رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له في مال الغني ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله عز وجل وحكمه في خلقه إن أنتم إلا في ضلال مبين يقول الكفار للمؤمنين ما أنتم إلا في خطأ بين في اتباعكم محمدا صلى الله عليه وسلم وترك ما نحن عليه ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين أي القيامة والبعث قال الله تعالى ما ينظرون أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة قال ابن عباس يريد النفخة الأولى تأخذهم وهم يخصمون أي يختصمون في أمور الدنيا من البيع والشرى ويتكلمون في المجالس والأسواق قرأ حمزة يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد أي يغلب بعضهم بعضا بالخصام وقرأ الآخرون بتشديد الصاد أي يختصمون أدغمت التاء في الصاد ثم ابن كثير ويعقوب وورش يفتحون الخاء بنقل حركة التاء المدغمة إليها ويجزمها أبو جعفر وقالون ويروم فتحة الخاء أبو عمرو وقرأ الآخرون بكسر الخاء وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته فلا يطعمها قوله عز وجل فلا يستطيعون توصية أي لا يقدرون على الإيصاء قال مقاتل عجلوا عن الوصية فماتوا ولا إلى أهلهم يرجعون ينقلبون والمعنى أن الساعة لا تمهلهم لشيء ونفخ في الصور وهي النفخة الآخرة نفخة البعث وبين النفختين أربعون سنة فإذا هم من الأجداث القبور واحدها جدث إلى ربهم ينسلون يخرجون من القبور أحياء ومنه قيل للولد نسل لخروجه من بطن أمه قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الآخرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل وقال أهل المعاني إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا ثم قالوا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون أقروا حين لا ينفعهم الإقرار وقيل قالت الملائكة لهم هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقال مجاهد يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة يعني النفخة الأخيرة فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون إن أصحاب الجنة اليوم في شغل قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو شغل بإسكان الغين

Copyright © King Saud University